

العمارة الحديثة في اليمن وعلاقتها بالعمارة التقليدية

د.محمد حمود أحمد الكبسي

أستاذ الهندسة المعمارية المساعد - كلية الهندسة - جامعة عدن

alkibssi_95@yahoo.com

الملخص:

إن التطور الهائل في مجال العمارة والبناء جاء نتيجة للقفزة النوعية التي أحدثتها مواد وأساليب البناء الحديثة والمتطورة، وكذلك التكنولوجيا من وسائل ومعدات، أدى إلى انتشار العمارة الحديثة بشكل كبير في مختلف بلدان العالم، وبدأت العمارة الخرسانية تشغل حيزاً كبيراً وتحل تدريجياً محل العمارة التراثية ليس في بلادنا فقط وإنما في مختلف بلدان العالم وخصوصاً عالمنا العربي والإسلامي.

واستطاعت العمارة الحديثة أن تنتشر في اليمن وبنطاق واسع في مختلف المناطق اليمنية وتتنوع حسب العوامل الطبيعية والمناخية، ونجد أن العمارة الحديثة في اليمن اتجهت اتجاهين مختلفين في تكوينها وهيئتها (الطابع المعماري) من حيث الشكل والوظيفة للأبنية وأيضاً من حيث استخدام مواد البناء الحديثة، ويمكن تلخيصهما على النحو التالي:

- عمارة حديثة تختلف جذرياً عن العمارة التقليدية والتراث الفني المعماري في اليمن ومن كل النواحي المختلفة سواء الشكل أو الوظيفة والاقتراس الكلي أو الجزئي لكل ما هو مستورد من العمارة الخرسانية.

- العمارة الحديثة التي تعتبر امتداد وتطوير للعمارة التقليدية ولكن بطراز حديث ونمط متطور وكذلك بمواد بناء حديثة ومتطورة مع الحفاظ على التراث المتميز والفن المعماري اليمني العربي والإسلامي. وإنشاء عمارة حديثة تتناسب مع التغيرات التي طرأت على المجتمع وتتلاءم مع البيئة المحلية والعادات والتقاليد.

ويمكن رصد هذان الاتجاهان من خلال محتويات البحث الذي يتطرق إلى العلاقة بين العمارة الحديثة في اليمن وارتباطها بالتراث المعماري من خلال الدراسة والتحليل والمقارنة لمباني معمارية مختلفة من مناطق مختلفة من اليمن بالإضافة إلى تنوع أسلوب الفن المعماري بتنوع العوامل الطبيعية من تضاريس ومناخ وغيرها وانسجام هذه المباني مع البيئة المحلية. وسوف يتوصل البحث إلى جملة من النتائج التي تهدف إلى تفادي السلبيات حول العلاقة بين العمارة الحديثة والتقليدية.

كلمات مفتاحية: العمارة الحديثة، التراث المعماري، الطابع المعماري، البيئة المحلية

1. المقدمة:

لأشك أن العمارة الحديثة في اليمن قد فرضت حضوراً قوياً وانتشرت انتشاراً واسعاً لاسيما في المدن الرئيسية، ونجد أن النهضة العمرانية محلياً وإقليمياً أو دولياً قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتطور التكنولوجي في مجال البناء والتشييد، وقد وجدت عوامل عديدة أدت إلى هذه التنمية العمرانية منها:

- الزيادة في حجم الإنفاق على أعمال البناء والتشييد.
- وإعطاء نسبة كبيرة من الاستثمارات في هذا المجال.
- توظيف رؤوس الأموال لإنشاء بنية تحتية (Infra-Structure) قوية يركز عليها التطور العمراني والتوسع الهائل في العمارة الحديثة.

- الازدياد الكبير في عدد السكان والهجرة من الريف إلى المدينة ساهم في دفع عجلة التوسع العمراني في المدن.

ومع كل هذا يجب التعامل مع هذا التطور والتوسع العمراني على أساس التكامل والانسجام التام بين الطبيعة المحلية والنهضة العمرانية الحديثة، وعدم الانجراف إلى التقليد والنسخ من عمارة مستوردة ذات طابع معماري يختلف عن بيئتنا المحلية، حيث نجد أن بناء الإنشاءات الخرسانية في البلدان الحارة لا يعالج تأثير الطقس الحار على الخرسانة ولا يدرس ما تفقده من مميزات أساسية مثل: القوة، المقاومة، ومميزات أخرى من مميزاتاها.

لذا نؤكد على استخدام مواد البناء المحلية وإعادة تشكيلها بما يواكب التطورات في مجال العمران والتشييد وضرورة إحياء التكامل والانسجام بين البيئة المحلية والعوامل المناخية المحيطة من جهة والعمارة الحديثة والعمران الحديث من جهة أخرى بما ينتج وينشئ عمارة مميزة تحافظ على ثباتها ورسوخها كما تحافظ على الطابع العمراني المحلي التقليدي من التدهور الحاصل بمرور الزمن.

1.1 هدف البحث:

يهدف البحث إلى إرساء الفكر التراثي المعماري اليمني وإنشاء جسر تواصل كبير يربط بين الطابع العام للعمارة التقليدية والعمارة الحديثة في اليمن من خلال التفهم لإمكانيات العصر الذي نعيشه وطبيعة مجتمعنا اليمني والهوية العربية والإسلامية للعمارة التراثية.

كما يهدف البحث إلى التلاؤم مع المؤثرات البيئية المحيطة والاختيار المناسب لمواد البناء (Building Materials) وتقنياتها وتلاؤمها مع الظروف الطبيعية وكذلك المناخية والاستناد بشكل رئيسي إلى مواد البناء المحلية.

وبهذا يساهم البحث في تقديم صورة موجزة عن الطابع المعماري التقليدي في اليمن ومدلوله الفني والثقافي والوظيفي ومدى الحاجة الماسة إلى الحفاظ عليه من العبث الناتج عن مزج الهوية والأصالة المعمارية اليمنية بعمارة رئيسية دخيلة بعيدة كل البعد عن هذا التراث العريق.

1.2 منهجية البحث:

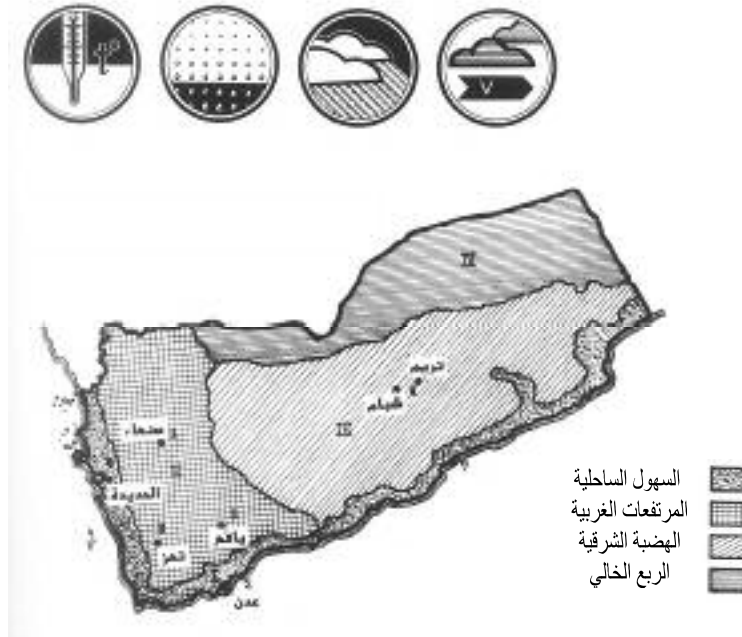
اعتمد البحث على التوثيق التصويري من خلال الصور المعروضة في البحث وكذلك المنهج الوصفي، أي وصف المباني والمدن والطرز المعمارية، كما إن النزول الميداني كان حاضرا لنقل صورة حية لواقع العمارة اليمنية التراثية والحديثة، فضلا عن بعض التحليل لأبجديات الطابع المعماري والربط ما بين الشكل الوظيفي في العمارة اليمنية.

2. العوامل الطبيعية والمناخية المؤثرة على نمط وتشكيل العمارة في اليمن

1.2 التضاريس:

عند النظر في خريطة اليمن الطبيعية نجد أن اليمن تتميز بتنوع ظروفها الطبيعية فنجد أن سطح الياابس باليمن يختلف من حيث انبساطه وانخفاضه وارتفاعه ووعورته، فهناك سهول ساحلية منخفضة وكذلك سهول داخلية مرتفعة، وجبال وعرة شاهقة شديدة الانحدار وجبال أقل وعورة وارتفاع، كما توجد الوديان الضيقة والعميقة والوديان الواسعة ، ولهذا فإن دراسة التكوين الجيولوجي لليمن يعطي التفسير لمختلف مظاهر السطح في اليمن. ويمكن تقسيم اليمن إلى أربعة أقاليم تضاريسية لكل إقليم صفته الجيولوجية والتضاريس الخاصة به وهي^[1] (شكل 1):

- أ. إقليم السهول الساحلية
 - ب. إقليم المرتفعات الغربية
 - ج. إقليم الهضبة الشرقية (هضبة حضرموت) د. إقليم الربع الخالي (السهول الصحراوية الداخلية)
- بالإضافة إلى مجموعة الجزر اليمنية المنتشرة في المياه الإقليمية اليمنية على امتداد البحر العربي والبحر الأحمر.



شكل 1: خارطة توضح الأقاليم التضاريسية في اليمن المصدر: مرجع [2]

2.2 المناخ:

تقع معظم أجزاء اليمن ضمن الإقليم المداري الحار، إذ إن اليمن يقع عند الأطراف الجنوبية المجاورة للإقليم المداري، لذا فإن معظم أجزاء اليمن شديدة الحرارة، وأشعة الشمس تكون عمودية أو شبه عمودية معظم أيام السنة، ولكن يجب الإشارة إلى أهمية وجود المسطحات المائية التي تساعد على اعتدال المناخ في المناطق التي تجاورها ولها تأثير على المدى الحراري اليومي والسنوي. وللحر أثره الواضح في ارتفاع نسبة الرطوبة (Humidity) في المناطق الساحلية في حين تقل هذه النسبة في المناطق الداخلية.

إن تنوع الأقاليم التضاريسية في اليمن تؤثر على تنوع عوامل المناخ من درجات الحرارة والضغط الجوي والرطوبة والأمطار فمثلاً نجد أن إقليم السهول الساحلية يتصف بارتفاع درجة الحرارة فهي لا تقل عن 25 درجة مئوية وكثيراً ما تزيد عن 40 درجة مئوية، وتتراوح الرطوبة النسبية ما بين 60% - 70% (مدينة عدن والحديدة) ونسبة سقوط الأمطار قليلة بوجه عام، حيث لا تتجاوز بضعة مليمترات عند الساحل وتصل إلى 200 ملم قرب الجبال.

أما إقليم المرتفعات الغربية يمتاز باعتدال درجة الحرارة معظم شهور السنة وتتنخفض أحياناً إلى ما دون الصفر المئوي (صنعاء - يافع)، وتصل نسبة الرطوبة ما بين (35% - 60%) أما الأمطار فهي غزيرة في المناطق المرتفعة وتتراوح ما بين 200 - 400 ملم وتزيد هذه الكمية في القمم المرتفعة، وبالنسبة لإقليم هضبة حضرموت تتراوح درجة الحرارة ما بين 11 درجة مئوية إلى 41 درجة مئوية (مدينة سيئون) وبالنسبة للأمطار فهي قليلة ومتذبذبة ويسود هذا الإقليم الظروف القارية والصحراوية.

أما إقليم السهول الصحراوية الداخلية فنجد أن درجة الحرارة فيه عالية جداً والمدى الحراري اليومي والسنوي كبير والأمطار فيه نادرة وقد تسقط في فترات متباعدة^[3].

3. تنوع أنماط العمارة اليمنية (العمارة التراثية والعمارة الحديثة) انعكاسا وتأثرا بالمحيط البيئي وعوامل التأثير الطبيعي والاجتماعي

لاشك أن العمارة اليمنية والفن المعماري اليمني سواء العمارة التراثية أو العمارة الحديثة اتخذت أنماطاً عديدة وتعددت وتباينت باختلاف بيئتها وهذا جعلها تتشكل وفق محيطها البيئي. وإن مهارة المعماريين اليمنيين لعبت دوراً بارزاً في ذلك التعدد، فقد تم الاهتمام بتخطيط الحيزين الداخلي والخارجي، وبالرغم من مرور السنوات لم يزل النموذج المعماري ونمط الحياة متداخلين ومتفاعلين في الطبيعة الخلاقة للتخطيط (Planning) الذي واجه العوامل البيئية والمناخية القاسية واحتوى في الوقت ذاته التقاليد الاجتماعية المتكونة من الظروف الاقتصادية والتاريخية والسياسية وهنا يجب الإشارة أنه توجد مظاهر عدة مشتركة بين عناصر العمارة في مختلف المدن اليمنية (شكل 2)، وهنا نبرز نماذج لأنماط المعمارية المختلفة منها مدينتي شبام وتريم من مدن وادي حضرموت اللتان استخدمتا المدر (الطوب الطيني المجفف بالشمس) كمادة بناء أساسية للعمارة، وشكلت هذه العمارة الجذور التقنية والثقافية للعمارة التقليدية ونجد أن تقنية البناء الطيني تطورت وبشكل ملحوظ وتميزت بالعديد من المميزات منها :

- نعومة التشكيل وتعدد الأشكال
- إمكانية الزخرفة (Sculpture) والانسجام داخل الفراغات
- مقاومة الأحوال المناخية والتنظيم الحراري الطبيعي
- إمكانية ارتفاع المباني الطينية^[4]

بالإضافة إلى مدن صنعاء وياض و عدن و كان الحجر مادة البناء الأساسية فيها



شكل 2: الانسجام والتكامل بين البيئة المحلية وعناصر العمارة التراثية

3.1 مدينة شبام:

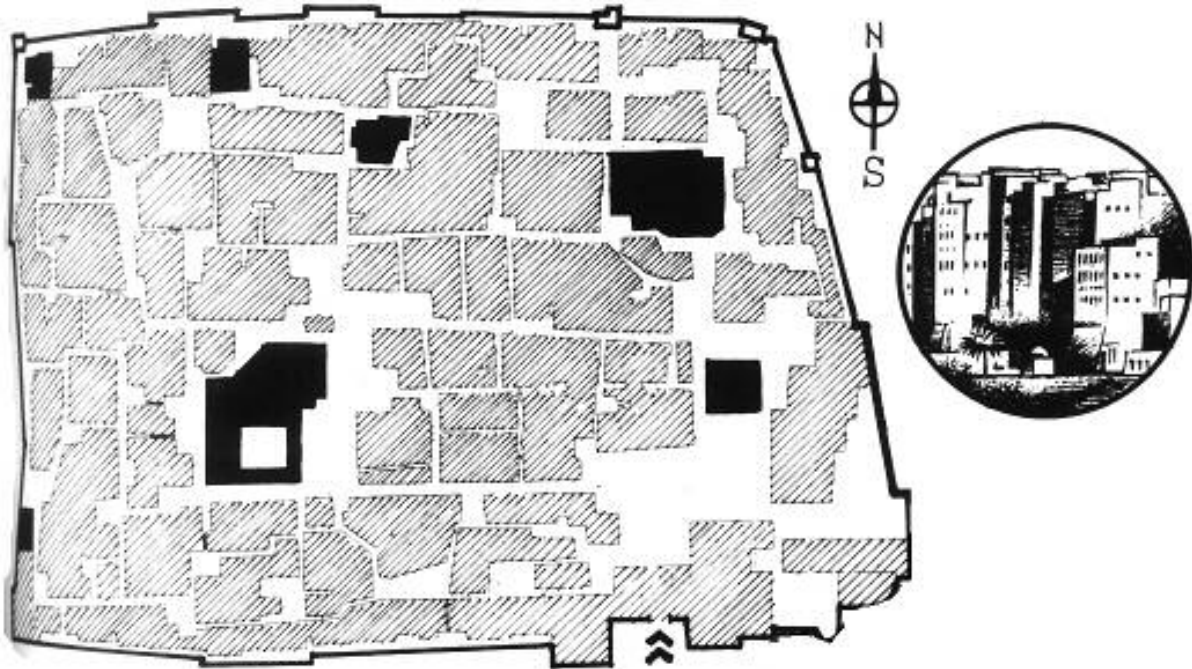
تقع على أكمة ترابية تحيط بها أراضي زراعية من كل الجهات تقريباً، ويرجع تاريخ بنائها إلى القرن السابع الميلادي^[5]، كانت المدينة أكبر مما عليه الآن، إلا أن قسماً منها قد انجرف بالسيول الغزيرة في عامي (1298م و 1562م)^[6]، وتركت بعد التدمير الأخير بشكلها وحجمها الحالي تقريباً (شكل 3). ترتفع المدينة من 600 - 700 متر فوق سطح البحر وتقع في خط العرض بين درجتى 15⁰ - 17⁰ شمال خط الاستواء وتتميز كسائر أنحاء الوادي بمناخ صحراوي جاف شديد الحرارة صيفاً معتدل إلى بارد شتاءً، حيث ترتفع درجة الحرارة من مايو إلى أغسطس بمعدل 40 درجة مئوية بينما تنخفض في ديسمبر ويناير إلى أقل من 20 درجة مئوية، وتتباين درجة الحرارة بين الليل والنهار. وكانت شبام مركزاً للإدارة الإسلامية في عهد الخليفة هارون الرشيد و بها أقام عامل الخليفة الجامع الذي لا يزال يحمل اسم الخليفة العباسي إلى يومنا هذا^[7].

أما قياس أطوالها الحالية فهي 355 مترا من الجنوب 295 مترا من الشمال، أما من الشرق والغرب ففي طولين متساويين يبلغ كل منهما 230 مترا^[8]، وهكذا فإن المدينة تربرض على أرض صخرية ترتفع عن محيطها الأمر الذي يجعل تمددها وانتشارها صعبا، وهي إلى ذلك محاطة من جهات الشمال والشرق والغرب بأشجار النخيل وحقول زراعية، لذا نجد إن التمدد الأفقي للمدينة اقتصر على إقامة بنايات قليلة خارج سورها الجنوبي.

لهذه الأسباب أقام أهالي شبام أبنية متراصة متقاربة عالية ترتفع إلى سبعة ادوار أو ثمانية، ونظرا لإمكانية التمدد المحدود في شبام فإن عدد البيوت ضل نفسه لم يتغير لعقود عده (حوالي خمسمائة بيت متصلة ببعضها البعض) ونجد ان تراص البيوت بعضها ببعض أدى إلى جعل شوارع المدينة أزقة ضيقة بين البيوت، على نحو يشبه تخطيط الشوارع في المدن اليمنية الأخرى (شكل 4، 5).



شكل 3: مدينة شبام



شكل 4: مسقط مدينة شبام موضح فيه الأحياء السكنية والمساجد



شكل 5: الواجهة الجنوبية لمدينة شبام

ونجد أن بيوت مدينة شبام أقيمت مترابطة كاستجابة لما أملتته الظروف المناخية الحارة، حيث كانت الحاجة إلى الظل في الشوارع تدعو سكانها لان يقيموا بيوتهم كمصدات لحرارة الشمس. كما أن مدينة شبام محاطة بسور من طوب الطين يتراوح ارتفاعه بين خمسة إلى سبعة أمتار وتوجد به بوابة المدينة الرئيسية، هذه البوابة تعرف بالسدة لأنها تستعمل في الليل، أبان الحروب لسد المدينة وعزلها عن العالم الخارجي وتقع في موضع غير مركزي عند الحد الجنوبي للمدينة، وبالرغم من ضيق مساحة شبام ومحدوديتها فإنها تحتوي على خمس مساحات عامة واسعة تحيطها واجهات البيوت المتلاصقة والمساحة الرئيسية في المدينة هي (ساحة الحصن) وهي أكبر المساحات وبعدها ساحة الرشيد، أما المساحات الأخرى فإنها اصغر بكثير من الساحتين الأوليتين.

3.2 مدينة تريم:

ورد اسمها في النقوش السبئية جنبا إلى جنب مع سيئون وشبام في القرن الرابع الميلادي^[9] وكانت في يوم من الأيام مركزا للعلوم الدينية حيث اشتهرت بكثرة مساجدها حتى أنه يقال أن بها من المساجد ما يوازي عدد أيام السنة، هذه المدينة يلمس فيها الأثر العميق للتأثيرات القادمة من شرق آسيا نتيجة للهجرة التاريخية التي حملت أهلها إلى أراضي ماليزيا واندونيسيا، فبالإضافة إلى بعض العادات فان تلك المؤثرات تتجلى في الفن المعماري الذي يحكي نماذج حمل صورتها معهم أولئك المهاجرون. ففيها بنت الأسر المهاجرة الغنية قصورا ضخمة مزينة من الداخل والخارج بالنقوش البارزة المشكلة من الطين، والمطلية بالألوان الزاهية. هنا في هذه المدينة في النصف الأول من القرن العشرين انبثقت موجة محاكاة الفن المعماري الشرق آسيوي (ماليزيا- اندونيسيا) ومنها انتشرت إلى مختلف أنحاء الوادي بنسب متفاوتة(شكل6).

وتعتبر منارة مسجد المحضار الشاهقة (أكثر من 40 مترا) والمبنية من اللبن المجفف (المدر) والتي تطل من قمته على مدينة تريم بأكملها(شكل7)، شاهدا بارزا على ما وصل إليه الفن المعماري في هذه الفترة، كما تعتبر في وقتنا الحاضر رمزا لهذه المدينة ويحيط بتريم سور تدعمه تحصينات دفاعية وتتخلله منافذ محروسة، كما تنتشر المساحات داخلها مما يحقق لسكانها أسباب التهوية (Ventilation) والترفيه والى جانب المساجد عرفت تريم ببعض الأبنية العامة، الرباط (المعهد الديني العتيق) وبعض مكاتب أسرها الشهيرة. ونجد أن الأضرحة تحتل جانبا بارزا من المدينة.



شكل7: منارة المحضار - تريم



شكل6: قصر آل بن يحيى - المنصورة- تريم

ومن خلال نموذجي شبام وتريم يمكن تحديد الاختلاف في علو أو ارتفاع المباني فمثلاً أبنية شبام (حضر موت) ترتفع إلى علو يقارب في الأبنية الحديثة ثمانية أدوار ولا تتعدى أبنية تريم (حضر موت) الأربعة أدوار أو الخمسة ولكن تقنيات البناء الأساسية هي نفسها ويمكن الاختلاف في الشكل الخارجي والوظيفة الداخلية للأبنية، وعلى أي حال فإن المقدمات المعمارية تشير إلى أن الطراز المعماري في شبام يحتفظ بالطبيعة المحلية الحضرمية بينما تحتوي أبنية تريم إضافة إلى ذلك ما يمكن اعتباره ملامح من أسلوب البناء الكولونيالي المستعار، وهنا يمكن القول بأنه إلى جانب الشكل الخارجي للمباني أي الواجهات الرئيسية (الأمامية والجانبية) والوظيفة الداخلية للمباني (التصميم الداخلي) يدخل الاختلاف في هذه المباني بواسطة المواد المستعملة في البناء، فمثلاً في وادي حضر موت شبام وتريم فإن طوب الطين (المدر) هو المادة الأساسية للبناء أما بالنسبة لمدينة صنعاء نجد أن المدينة لها طابعها الخاص الذي يميزها عن مدن يمنية أخرى مثل عدن يافع تعز، ولا ننسى بأن من أهم العوامل المؤثرة على طريقة البناء هو المناخ والتكوينات الطبيعية.

3.3 مدينة صنعاء

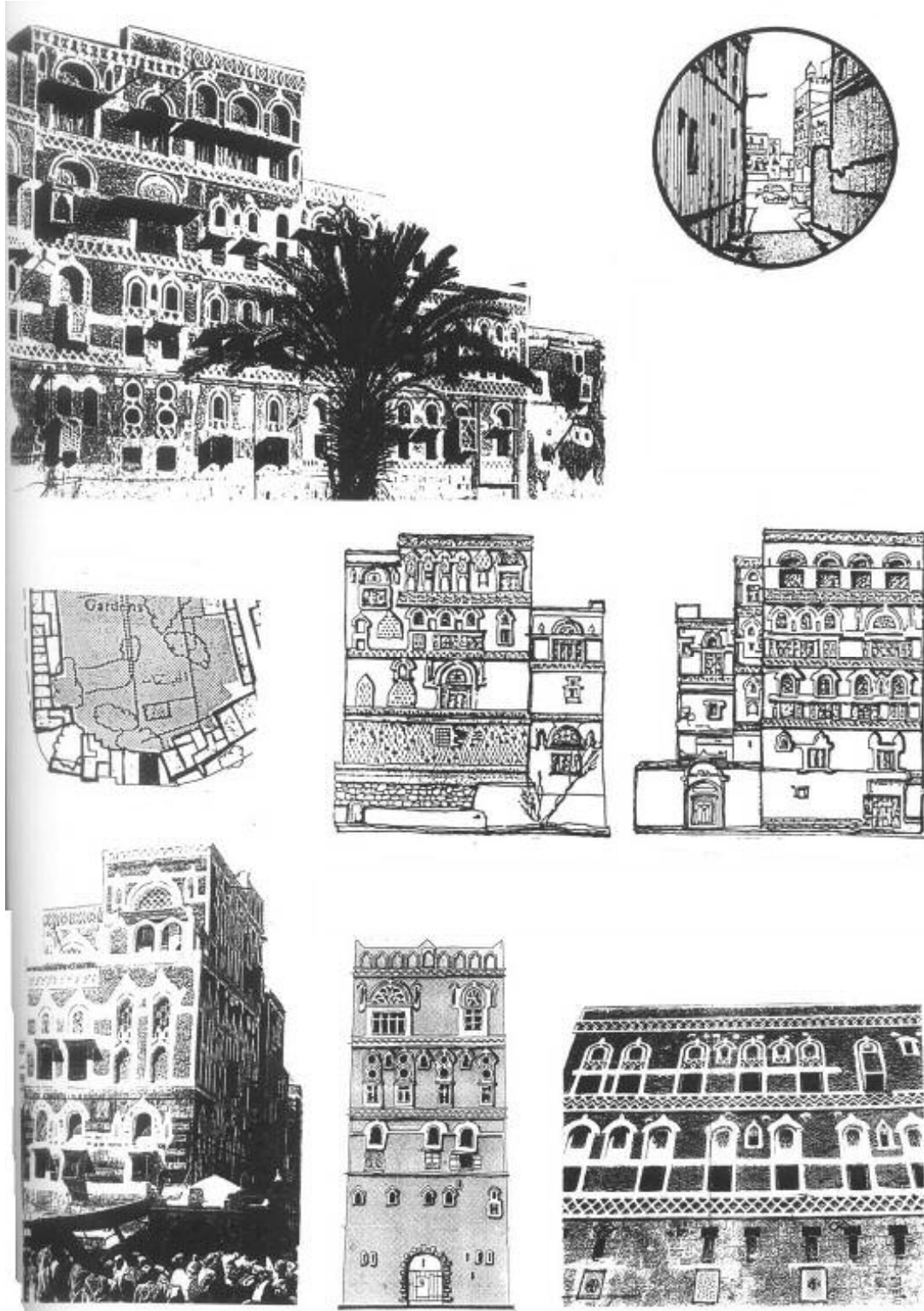
تقع مدينة صنعاء القديمة وسط سهل قاع صنعاء، في قلب جبال السراة وسط الهضبة اليمنية وعلى امتداد هضبة صغيرة (حبيل) في سفح جبل نغم ترتفع قليلاً عن مستوى سطح السهل وبتدرج يزداد شرقاً باتجاه الجبل، وارتفاع يتراوح بين (2248-2292م) فوق سطح البحر^[10] وهي ضمن إقليم المرتفعات الغربية وهذا الإقليم عبارة عن مناطق جبلية ولهذا نجد أن الفن المعماري هنا يعبر عن الظروف البيئية والمناخية لهذه المنطقة، وبالنسبة لمدينة صنعاء تشير الدراسات التاريخية إلى وجودها في القرن الأول الميلادي^[11].

نمت هذه المدينة الرئيسية في سهل قاع صنعاء الخصب لتصبح المركز التجاري الهام في جنوب الجزيرة العربية وتطورت لتصبح واحدا من المراكز الغنية في حضارة ما قبل الإسلام (Pre-Islamic Civilization) وصنعاء القديمة مدينة مسورة، ذات قلعة تقع في الطرف الشرقي من المدينة على منطقة مرتفعة تحتها تقع الأسواق والجامع الكبير، ثم فيما بعد امتدت نحو الغرب عبر السائلة وامتد سورها حولها، وعليه تكون مدينة صنعاء القديمة مؤلفة من منطقتين الأولى تقع في شرق السائلة والثانية في غربها، ولكل جزء مميزاته العمرانية البنائية العالية والذي يضم المباني الهامة من الواجهة التاريخية وذو طابع جمالي خاص وعمراني فريد نجد الجزء الغربي أقل كثافة وأقل وتجانسا وأكثر انفتاحا نحو الفضاء الحضري، وهو يضم القصور والفيلات والحدائق التي تضيء على المدينة محيطة رائقا^[12].

ويعود الفضل الأكبر في تحقيق عناصر الانسجام والتناغم الفني في العمارة الصنعائية إلى التشكيلة الممتازة من مواد البناء الأساسية التي اختاروها والتي شيدت منها القصور الرائعة والمباني الجميلة ذات الطوابق المتعددة وفي مقدمة هذه المواد مادة الطوب المحروق (الطين المحروق) ويسمى الياجور. ويقدم الطوب أجمل مادة لبناء المباني ورسم أجمل الزخارف الرأسية والأفقية وكل أنواع الأحزمة والنقوش الخارجية عليها(شكل 8، 9).



شكل 8: نماذج من العمارة التقليدية في مدينة صنعاء



شكل9: الزخارف الأفقية والرأسية تضيفي للعمارة الصنعانية تميز نادر

3.4 يافع:

يعود أقدم ذكر ليافع في نقش النصر المنسوب إلى الملك السبئي كرب آل وتر بن ذمار^[13] وقد جاء في الموسوعة اليمنية إن أرض حمير الأصل هي سرو حمير، وقلب سر و حمير هي بلد يافع. وهي تلك الجبال التي تتحدر نحو سناد دلتا وادي أبين على مشارف بحر عدن، وتخترق الوادي قبل وصوله إلى السهل من الشمال إلى الجنوب .

كما حدد الهمداني في مؤلفة الجغرافي (صفة جزيرة العرب) أرض سر و حمير وأوديته بأنها (العمر، ثمر، حبه، عله، وحطيب، يهر، ذي ناخب، ذو ثاب، سلفه، شعب، وعرميحان، سلب، العرقة، مدرورة، مجزعة ويتم) وكل تلك المواضع المذكورة هي وديان وقرى ومساكن لما يعرف اليوم بمنطقة يافع والتي تضم ثمان مديريات تقع أربع منها في محافظة لحج وهي : لبعوس، الحد، يهر والمفلحي وأربع منها أخرى في محافظة أبين وهي: رصد، سباح، سرار وجزء كبير من مديرية خنفر ويبلغ أعلى ارتفاع لها في قمة جبل ثمر 2520 متر^[14].

وتشتهر يافع بزراعة البن عالي الجودة في أوديتها كما تزرع الحبوب في مدرجاتها المنتشرة في سفوح الجبال ويبلغ تعداد سكان يافع حوالي خمسمائة ألف نسمة.

ونجد أن العمارة اليافعية متميزة وتختلف عن العمارة في حضرموت وعدن وصنعاء ويتجلى الاختلاف في عدة نواحي منها الشكل الخارجي وكذلك الوظيفة الداخلية للمبنى (شكل 10).

فنلاحظ أن المباني في يافع تتوسع رأسياً نتيجة لعدم وجود مساحات كبيرة للبناء على الجبال وكذلك للحفاظ على الرقعة الزراعية الموجودة في المنطقة والتصميم المعماري في المباني اليافعية يناسب عادات وتقاليد الناس ولا يزال التصميم المعماري في يافع يحتفظ بأصالته حيث لا يزال حتى وقتنا الحاضر يتم بنفس طريقة الأجداد ويجب الإشارة هنا إلى أن التقسيم الوظيفي للمساكن مثلاً يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أنواع على النحو التالي:

المبنى المربع المسقط ويسمى (المربع).

المبنى المربع المسقط مع جزء إضافي ويسمى (التطليعة).

مبنى سكني مستطيل المسقط ويسمى (العديل).

ومادة البناء الأساسية المستخدمة هي الحجر بأنواعه المختلفة.



شكل 10: العمارة اليافعية، التمسك بالعراقة والأصالة

3.5 مدينة عدن:

وهي العاصمة الاقتصادية لليمن والميناء الرئيسي لها فهي مدينة ساحلية تقع ضمن إقليم السهول الساحلية طبيعياً وتتكون فوق فوهة بركانية قديمة تحيطها الجبال المنحدرة نحو شاطئ البحر، ويمكن القول بأن العمارة القديمة والأحياء السكنية كانت عبارة عن شوارع لها أبواب في بدايتها ومسدودة في نهايتها وتتفرع منها عدة حارات وكان كلاً منها يشكل بيئة اجتماعية خاصة مكونة من مجموعة متجانسة من السكان مثل التجانس الحرفي والتجانس العرقي، وبعد الاحتلال البريطاني تغيرت معالم أحياء المدينة واستبدلت الشوارع القديمة بشوارع مستقيمة ومتوازية وأصبحت كافة الشوارع لمدينة عدن مستقيمة. ومن ناحية التصميم على مستوى المسكن التقليدي (Traditional Residence) مثلاً نجد أن هذه المباني لم تنفصل عن بيئتها المحلية حيث جاءت التكوينات المعمارية جزءاً لا يتجزأ من المحيط الطبيعي والاجتماعي سواء من الناحية الوظيفية أو عناصر البناء، لكن نلاحظ أن المباني أخذت طابعاً مميزاً حيث تجمعت في مواقع محدودة تتراوح ارتفاعها إلى ثلاثة أدوار في تكوين متلاصق وتقل فيه الشوارع والساحات ويستغل فيه الطابق الأرضي من المبنى للأغراض التجارية وبقيّة الأدوار للسكن، فجاءت المباني في حوائط سمكية مع قلة الفتحات (Openings) وضيقها، ومع تنامي عدد السكان في مدينة عدن وتأثرها بالحضارات الأخرى ومنها الأوروبية (بريطانيا) تطور المجتمع تدريجياً وظهر نمط جديد من البناء أعتمد على استيراد طرز معمارية لم تستوعب المجتمع وتقاليدِه والمناخ وتقنيات البناء القديم التي تتسجم مع البيئة المحيطة^[15] (شكل 11-14).



شكل 12: نموذج للأبنية الحديثة في عدن

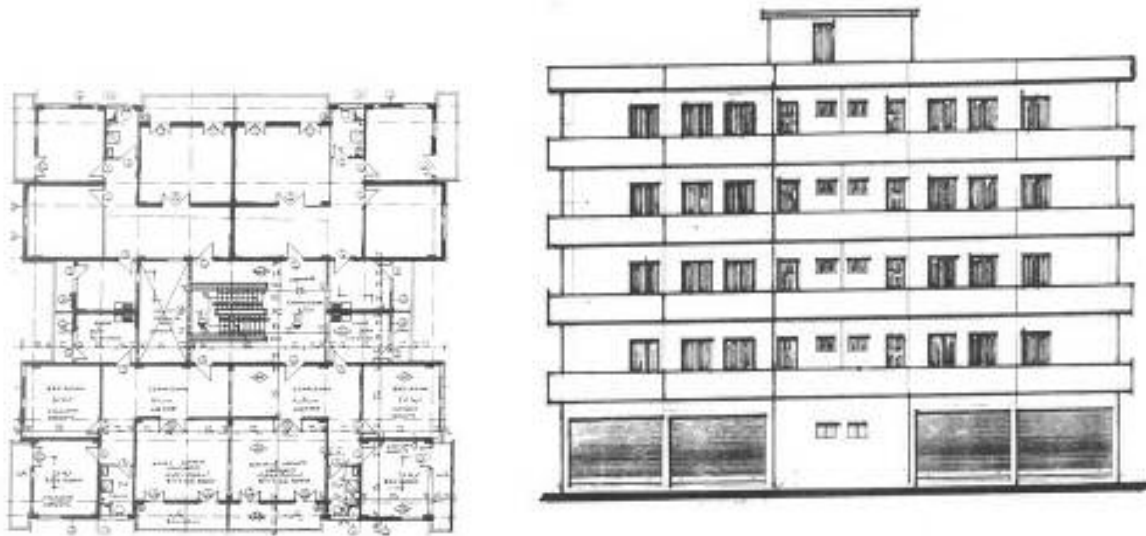


شكل 11: نموذج للأبنية التراثية في عدن

وقد ساهمت عملية استيراد المواد الإنشائية مثل الحديد والإسمنت في عملية الانفتاح على تجارب غربية في البناء واستبعدت مواد البناء المحلية كالحجر والطين وظهرت أسس ومفاهيم تخطيطية جديدة على مستوى التصميم الحضري (Urban Design)، وطغت مباني الخرسانة المسلحة على معظم المناطق بمدينة عدن.



شكل 13: العمارة الحديثة في عدن التي وعدم محاكاة الطابع العمراني المحلي



شكل 14: العمارة الحديثة في عدن التي وعدم محاكاة الطابع العمراني المحلي

4. العمارة الحديثة في اليمن امتداد متطور للطابع المعماري التقليدي والتراث المعماري اليمني

من خلال حديثنا حول العمارة الحديثة في اليمن لابد من التحليل المنطقي والدقيق لأسلوب وطرق البناء الحديث وكذلك مبدأ استخدام التقنيات الحديثة (Modern Techniques) وتكنولوجيا البناء والتشييد وهذه المقومات الإيجابية أفرزت لنا عمارة حديثة ذات طابع معماري تقليدي متناغم ومنسجم مع البيئة المحيطة، وهنا تم مراعاة جميع العوامل الجغرافية من موقع وجيولوجيا وطبقات الأرض وكذلك العوامل المناخية وعناصرها المختلفة من حرارة ورياح ورطوبة وأيضا العوامل الاجتماعية المتمثلة في العادات والتقاليد الاجتماعية العربية والإسلامية، وكل هذا انعكس على الطابع المعماري الحديث ذو النكهة التراثية والتقليدية فنجد التناسق والانسجام الرائع على واجهات المباني من ارتفاع وتوزيع ممنهج للفتحات (الأبواب والنوافذ) بالإضافة إلى عناصر الواجهات البيئية من كاسرات رأسية وأفقية (Shading Devices) وكذلك استخدام الزخرفة المحلية وخصوصا أجزاء السطح الخارجي للواجهات وكذلك الأجزاء العلوية من واجهات المباني (التشريفة) أو الذروة وإظهار حيوية وجمال معماري لا يمكن أن يكون مقلداً أو وليد التقاينية واستمرار البناء بالطابع المحلي اعتمادا على مصادر طبيعية موفرة وهذا ما يعزز غنى العمارة اليمنية وتماشيها مع العصر ورسوخ تقاليدها الثرية.

إن العمارة الحديثة الممزوجة بالطابع التراثي والتقليدي تقدم لنا نموذج حي لعمارة غنية ذات حيوية وذات خصوصية (Privacy) تدل على الحضارة العمرانية منذ العصور البائدة شكلا ومضمونا، فمثلا الجانب الوظيفي أو تقسيم الفراغ الداخلي نجد أن العمارة الحديثة ذات الطابع التقليدي بلورت وجسدت جوانب كثيرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعادات والتقاليد العربية والإسلامية وتم تقسيم الفراغات المعمارية لتكون امتدادا لسابقتها من العمارة..... التي قامت على عدة مبادئ أهمها العزل التام لفراغ الضيوف مثلا في المباني السكنية وتقسيم السكن إلى ثلاثة فراغات رئيسية تتفاوت مدى العلاقة بين هذه الفراغات بين العلاقة المباشرة والعلاقة غير المباشرة أو عدم وجود علاقة بين فراغات محددة وهذه الفراغات مصممة بدرجة عالية من الدقة والحرص على توفير الراحة التامة والحيوية والحركة في جميع فراغات المسكن وهي حسب الآتي:

الفراغ الأول: ويمكن تسميته بفراغ الضيوف وعادة ما يكون هذا الفراغ محاذيا للمدخل الرئيسي للمسكن لتأمين حركة الوافدين إلى المسكن بهدوء بعيدا عن إرباك النساء في المسكن لكونه

الفراغ الخاص بالضيوف بعيدا عن الفراغات الأخرى التي تتواجد فيها النساء مثل فراغات المعيشة أو الصالات الداخلية للمسكن أو المطبخ....الخ، مع توفير حمام خاص بهذا الفراغ يمنع دخول الزائر إلى عمق المسكن وبهذا يكون الضيف أو الزائر أو الوافدين من غير أهل المسكن متمتع بفراغ مريح يسهل الحركة منه أو إليه إلى الفراغ الخارجي دون الحاجة إلى مناداة رب البيت بإخلاء الطريق للضيف. الفراغ الثاني (الأوسط): وهي الفراغات الوسطية في المبنى التي تشكل عامل العزل مابين الفراغ الأول والثالث وهي عبارة عن صالات داخلية وغرف المعيشة وممرات الحركة الداخلية والمطابخ والحمامات وغيرها من الفراغات التي تفصل بين فراغ الضيوف وفراغ الراحة أو النوم. الفراغ الثالث (فراغ الراحة) وهو الفراغ الخاص بالنوم والراحة والغرف الشخصية لأفراد العائلة في المسكن وعادة ما تكون مزودة بالحمامات الخاصة أو الحمامات العائلية بعيدا عن فراغ الضيوف (الفراغ الأول) الموجود عادة قرب المدخل الرئيسي للمسكن.

هكذا نجد علاقات وظيفية متماسكة ومنسجمة في الفراغات الثلاثة التي تشكل فيما بينها نظام سكني متكامل ومنسجم وتصميم مريح يعكس مدى حاجتنا لمثل هذه المباني الحديثة ذات الطابع التقليدي والتراثي، ونجد أنه لا توجد مشكلة في تنوع استخدام مواد البناء الحديثة في مواد البناء المستخلصة من البيئة المحلية وفي مقدمة هذه المواد الطين المحروق (مادة طوب الطين) ، وكذلك الأحجار بأنواعها المختلفة وأيضا مدر الطين والخشب وكذلك النورة (الجص) وهي عبارة عن مادة بيضاء ناعمة تنتج من حرق الحجر الجيري تحت ظروف معينة وفي محارق خاصة، وجميع هذه المواد تمتلك خواص العزل الحراري بالإضافة إلى قلة الكلفة الاقتصادية لهذه المواد، وجدير بالإشارة أن البيئة المحلية والتراث المعماري قد وفر لنا أرض ذات خصوصية عالية لرسوخ دعائم العمارة الحديثة ذات الطابع التقليدي ورسم سماته البارزة والتنوع الجميل والنادر للعمارة اليمنية وما تزخر به من فن معماري فريد من نوعه في العالم، طابع معماري ذو خصوصية يمنية بحثه يدل على حضارة عظيمة تعكس مدى الإبداع والقدرة لدى اليمنيين منذ القدم.

إن إنتاج عمارة حديثة في بلادنا تتمتع بالطابع المعماري التقليدي من نواحي مختلفة يعكس التفهم العميق لإمكانيات العصر الذي نعيشه وطبيعة المجتمع المحيط بنا ومحاولة استخلاص القيم الأساسية للبيئة اليمنية بثراء الفني وطابعها المميز مع الاستفادة من معطيات العصر الفكرية والحضارية وذلك لتحقيق متطلبات مجتمعنا اليمني دون فقدان الأصالة بماضينا العريق^[16] ، ونجد أن العادات والتقاليد قد ساعدت أيضا على نمط التكوينات الفضائية لتلك المباني، والتراث الثقافي الزاخر في إبداع تلك الأشكال الهندسية المعمارية والتي تظهر للوهلة الأولى بأنها أشكال بسيطة ولكنها ذات منفعة وقيمة جمالية عالية توفر فيها ناحية أصالة الأشكال المعمارية والعمرانية والتي تتبع من جوهر المتطلبات الوظيفية وتتلاءم مع المؤثرات البيئية المحيطة والاختيارات المناسبة لمواد البناء وتقنياتها، تشكل مجتمعة توافقا في الوظائف المهمة لشاغلي ذلك التكوين العمراني ومنسجمة مع تطلعات المجتمع عبر العصور.

إن العمارة التقليدية في اليمن وامتداد نمطها وطابعها في العمارة الحديثة والتي تعتبر فريدة نتيجة بنيتها التشكيلية وقيمتها الجمالية، ونجدها قد أثرت أساسا على المباني السكنية من نواحي الترابط الداخلي للتصميم ونوع مواد البناء المستخدمة بالإضافة إلى طرق البناء نفسها التي كانت تمارس في الماضي وعلى مر العصور .

إن بنية الشكل المعماري ذو العلاقة المتميزة بين الموقع والمدينة والمتفاعل من ناحية أخرى مع الشكل المكاني (الطبيعي) وكذلك الظروف المناخية، ونوعية البناء المتوافرة محليا الذي يعبر عن طبيعة المحتوى المادي - الفكري لمفهوم التراث العمراني كمنظومة تواصلية متجددة وحيوية باستمرار.

5. العمارة الحديثة التي تختلف جذريا عن العمارة التقليدية والتراث الفني المعماري في اليمن

إن الحديثين الرئيسيين في القرن التاسع عشر اللذين مهدا الطريق لعمارة من نوع جديد تماما في القرن العشرين كان التطورات التقنية من مواد البناء والثورة الصناعية. وقد أدى الحدث الثاني إلى تغييرات في النظرة إلى وظيفة المبنى أثناء عملية التصميم والتخطيط وظهر ما يسمى بالوظيفية (Functionalism) [17].

إن الوظيفة (الاهتمام بأداء المبنى الوظيفي أكثر من شكله الخارجي) وهذا يعني انه ظهرت مباني جديدة ذات متطلبات وظيفية مختلفة. وفي خضم البحث عن الملامح المحددة للعمارة الحديثة كان التنافس والجدل يحتدمان بين اتجاهات وتيارات معمارية متقاربة أحيانا ومتباينة أحيانا أخرى وبعض هذه الاتجاهات والمدارس استطاعت التأثير في الأحداث العمرانية والمعمارية عبر رؤية واضحة للخصائص والسمات التي امتاز بها عصرنا الراهن ومن خلال استنباط أشكال وتكوينات معمارية أساسية طبعت بطابعها العمارة الحديثة كما أن البعض الآخر منها كان يفترق إلى الأساس النظري الواضح، الأمر الذي يفسر التلاشي السريع لهذا التيار عن مسرح العمارة المعاصرة دون إن يترك بصمات واضحة تدل عليه [18]، ومن هذا المنطلق نجد أن العمارة الحديثة (Modern Architecture) في اليمن والتي سلكت طريقا غامضا في بلورة هويتها المعمارية المفرغة من محتواها والتي جعلت من الاقتباس العشوائي للعمارة الأوروبية والغربية أساسا في تكوينها وهيئتها وطابعها المعماري ونمط معماري لا يستطيع التلاؤم مع بيئة معمارية خصبة ذات طابع فريد ومتناغم مع كل النواحي.



شكل 15: العمارة الخرسانية ومدى ابتعادها عن الطابع والتراث المعماري

إن من خلال هذا الاتجاه وهو الاتجاه الثاني والطريق الآخر الذي سلكته العمارة الحديثة في اليمن ويقصد به اتجاه الاقتباس الكامل أو الجزئي لكل ما هو مستورد من العمارة الأجنبية (العمارة الخرسانية المجردة) هذا الطابع الجديد سواء الأوروبي وغيره الذي لا يمت للبيئة المحلية والنمط المعماري اليمني بأي صلة، أن هذا النوع من العمارة عبارة عن كتل معمارية تعتمد في إنشائها على الخرسانة المسلحة (الحديد والاسمنت) أو عمارة الكتل الخرسانية سابقة التجهيز والتي عادة ما تجهز عناصرها الإنشائية الأساسية في مصانع خاصة بالخرسانة الجاهزة .

وعند الحديث عن الخرسانة المسلحة يجب الإشارة إلى إن الدراسات والأبحاث التي أجريت في المختبرات العالمية المتخصصة أشارت إلى انه لا وجود لأي دراسة أو تطبيق صحيح يحدد طرق ومعالجة بناء الإنشاءات الخرسانية في البلدان الحارة بل أن الخرسانة تعالج وكأنها في طقس عادي معتدل هذا التجاهل أو التغاضي عن تأثير الطقس الحار على الخرسانة يفقدها قسما كبيرا من مميزاتها الأساسية قد يصل إلى نسبة 40-50 (مقاومة نهائية ناقصة تشرح بشكل مدهش وديمومة محدودة) [19] إذ إن من خلال هذه الدراسة نستخلص إن هذه الخرسانة تفقد قوتها ومميزاتها الأساسية مع وجود مناخ يتسم بالحرارة العالية وهذا بنسبة كبيرة ينطبق على مناخنا الحار نتيجة لوجود أجزاء كبيرة من بلادنا ضمن المناطق الحارة ناهيك عن الأشكال التكعيبية والواجهات المجردة والفتحات الزجاجية الضخمة

(النوافذ) دون دراسة إن الاستخدام المفرط للزجاج في الواجهات أو واجهات المبنى المختلفة يجب أن يكون تحت نظام بيئي يتلاءم مع وجود هذه المسطحات الزجاجية أي ليس المناخ الحار كما هو الحال في بلادنا.

والجدير بالإشارة إن العديد من المباني الحديثة أو ذات الطابع الحديث بنيت دون دراسة مسبقة لطبيعة المدن أو لتفاعلها وتأثيراتها مع البيئة المحيطة .

وهنا يجب التنبيه إن بعض من هذه المباني أو المشاريع التي نفذت كانت بأسباب اضطرارية لتلبية احتياجات الناس من مساكن أو مباني خدمية أخرى واتسمت بعض هذه المباني بأنها كانت مباني سابقة التجهيز أي إنها مباني خرسانية مسلحة كانت أجزائها وعناصرها تجهز في مصانع الخرسانة الجاهزة وهي مصانع البيتون المسلح وكذلك الواجهات سابقة التجهيز وغيرها من العناصر الإنشائية الأخرى. فمثلا كان لابد من قيام وزارة الإنشاءات بالعديد من المشاريع ذات الكلفة غير العالية لذوي الدخل المحدود أو الموظفين العاملين لدى الدولة، وتبنت الدولة سابقا العديد من تلك المشاريع التي كانت في تصميمها مباني ذات طابع معماري حديث وربما طابع أوروبي مستورد يختلف جذريا عن البيئة المحلية المحيطة وكذلك العامل الاجتماعي والعادات والتقاليد وضعف الخصوصية في الفراغات المعمارية ناهيك عن مواد البناء التي لا تتناسب مع المناخ الحار، ولهذا ظهرت الكثير من تلك المباني السكنية والكثير من المباني الخدمية والدواوين الحكومية التي تتواجد في مختلف المدن اليمنية والتي تعكس صفو النسيج العمراني الأصيل والتراث المعماري اليمني ذو الرونق المعماري والفني البديع.

النتائج والتوصيات:

أولاً: الاهتمام بالمباني التقليدية والتراث المعماري والحفاظ على هذه الثروة من الانقراض وذلك من خلال الاستخدام المستمر لعناصر هذه العمارة في عمارتنا الحديثة وبشكل يعكس الأبجديات الراقية للفن المعماري اليمني.

ثانياً: الأخذ بعين الاعتبار في اختيار مواد البناء المناسبة لكل من المناطق والأقاليم التضاريسية والمناخية لكون هذه الأقاليم تمتلك خصوصيات تستوعب مواد بناء تتلاءم مع بيئتها المحلية.

ثالثاً: التقليل من استخدام الخرسانة المسلحة (R.C.C.) و الخرسانة المسلحة مسبقة الصب (Pre-Cast Reinforced Concrete) وخصوصا في المناطق الحارة كونها لا توفر العزل الحراري المناسب مما يؤدي إلى ارتفاع الحرارة في المباني، وبالتالي استهلاك أكثر للطاقة لتوفير جو مناسب في هذه المباني، ناهيك عن أن خصائص الخرسانة المسلحة بوجود الطقس الحار تفقد مميزات الأساسية مثل القوة والمقاومة.

رابعاً: نقل أهم مكونات العمارة التراثية المنسجمة مع عصرنا الراهن ودمجها في عمارة حديثة متطورة تلبي متطلبات البيئة اجتماعيا ووظيفيا وبتكيف تام مع البيئة المحلية.

خامساً: عدم الانجراف نحو تقليد عمارة أجنبية دخيلة ذات طابع أوروبي لا تمت بصلة للبيئة العمرانية العربية والإسلامية، والتي لا تحقق المتطلبات الاجتماعية والبيئة المحلية.

سادساً: توعية المهندس المعماري والمدني في عملية العودة إلى تصميم وإنشاء مباني ذات الطابع التقليدي ينسجم مع البيئة المحلية، واستخدام مواد البناء المحلية مثل الطين والحجر وذلك من خلال إعداد دراسات مكثفة ترفع من كفاءة هذه المواد وتطور خصائصها.

سابعاً: تأهيل الفنيين والعاملين في مجال البناء التقليدي والاستفادة من خبراتهم في طرق إعداد وتحضير مواد البناء التقليدية وتعريفهم بأساليب البناء الحديثة مع الأخذ بعين الاعتبار في كيفية الربط بين هذه الكفاءات والخبرات وأسلوب العمارة المعاصرة وانعكاسا لذلك بروز الطابع التقليدي في عمارتنا الحديثة.

ثامناً: توثيق المباني التراثية والتاريخية والحفاظ عليها وصيانتها والاحتفاظ بهذه الوثائق لتكون مرجعا واضحا لإعادة اعمار المباني التي تعرضت للهدم أو السقوط جزئيا وكليا، كما يجب عدم المساس بالمباني التاريخية التي تعتبر صروح معمارية وخير شاهد لإبداعات الفن المعماري اليمني.

المراجع:

1. الكبسي، محمد حمود احمد "التقاليد والحداثة في العمارة السكنية للمدن اليمنية" أطروحة دكتوراه-سانت بطرسبورج 2003
2. الكبسي، المرجع السابق
3. الكبسي، المرجع السابق
4. رموضة، سالم عوض "الطين والعمارة الطينية على بوابة القرن الحادي والعشرين" المؤتمر العلمي الأول للعمارة الطينية-جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا 2000
5. شمشير، فيصل، و حنشور أحمد ، مميزات التصميم المعماري وتكنولوجيا البناء لمدينة شبام - الموروث والمعاصر، مجلة تقنية البناء، وزارة الشؤون البلدية والقروية، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد الحادي عشر، 2007، ص48.
6. الصبان، عبدالقادر محمد، مدينة شبام في سطور، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، سيئون، 1985، ص7.
7. لومير وبافقيه وبهارون "دراسة أولية لمدينة شبام التاريخية" باريس 1977
8. الدموجي، سلمى سمر "هندسة العمارة الطينية مدينة شبام وترميم
9. لومير وبافقيه وبهارون، المرجع السابق
10. طاهر، عبدالرقيب ومجموعة باحثين، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء، أعداد مركز الطاهر للاستشارات الهندسية، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، جدة، 2005، ص 36-37.
11. طاهر ومجموعة باحثين، المرجع السابق، ص 36-37.
12. القباطي، سيف "الثالث في العمارة كمنظومة تواصلية، العمارة التقليدية اليمنية كحالة خاصة" ندوة العمارة اليمنية وتحديات العصر -جامعة عدن 2008
13. العمري، محمد محسن "المعمار الياضي طراز فريد يوفر الراحة والأمان" ندوة العمارة اليمنية وتحديات العصر -جامعة عدن 2008
14. العمري، المرجع السابق
15. صالح مبارك، وديع غانم، أحمد حنشور "سمات وملامح العمارة التقليدية في مدينة عدن" مجلة جامعة عدن للعلوم الطبيعية والتطبيقية، سبتمبر 2001
16. القباطي، سيف المرجع السابق
17. مانسل، جورج و البراهيم، محمد بن حسين "تشريح العمارة" النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود-الرياض 2003
18. حاكمي، محمد "نظريات العمارة" مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية- دمشق 1995
19. ادوارد شديد "أنماط البناء المناسبة ومواد البناء المتاحة والملائمة للبيئة الصحراوية" جامعة دمشق 2002
20. المدحجي، محمد سلام "المدن اليمنية القديمة (تلبية المتطلبات الإنسانية - التعامل مع التراث) ندوة العمارة اليمنية وتحديات العصر -جامعة عدن 2008 ندوة العمارة اليمنية وتحديات العصر -جامعة عدن 2008 ندوة العمارة اليمنية وتحديات العصر -جامعة عدن 2008